السيـاق اللغـوي وأثره في فقه الحديـث النبـوي- حديث: "من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا" نموذجا

ياسـر أحمـد الشـمالي *

ملخـص

تناولت الدراسة بيان أهمية مراعاة سياق النص اللغوي من أجل الفهم الصحيح، وقد بينت الدراسة أن السياق مفهوم عام يراد به عدة أمور، منها معرفة ما قبل النص وما بعده، ومنها الأسلوب اللغوي الذي جاء به النص، ويقصد به نظم الكلام وتركيبه، من خلال النظر إلى موقع الكلمة في النص وأسلوب التعبير، حيث إن النصوص النبوية جاءت على لسان أفصح من نطق بالضاد، ومن هنا تأتي أهمية القدرة اللغوية والتذوق اللغوي في فقه النصوص، وقد عرض الباحث لجهود الإمام الجرجاني في التنبيه لهذا الجانب، وقام الباحث بذكر مثال تطبيقي لحديث نبوي يحتاج الشارح له إلى معرفة السياق اللغوي الذي جاء فيه، مع مقارنته بنظائر ذلك في السنة النبوية، مع التحذير من سوء الفهم للنصوص بسبب إغفال السياق اللغوي.

الكلمات الدالة: السياق اللغوي، الحديث النبوي.

المقدمـــة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن ضوابط فهم النصوص النبوية عديدة، تكفّل كثير من العلماء والباحثين ببيانها والتنبيه عليها من أجل منهج سديد في فهم السنة النبوية، ومن هذه الضوابط الدراسات التي تتعلق بالسياق لما لها من أثر في ترسيخ منهجية صحيحة في حسن الفهم والاستنباط وترشيد التدين، والسياق كلمة عامة لها مناح متعددة، منها: السياق الزماني، السياق المكاني، السياق الاجتماعي، السياق اللغوي، السياق النصي...، ولكل منحى منها دراسات تحليلية، وقد وجدت أن السياق اللغوي وعلاقته بفقه الحديث لم يعط حقه من البحث، فكانت هذه الدراسة. وقد جعلتها في مدخل وخمسة مطالب:

مدخل: مشكلـة البحـث، وأهميته، والدراسات السابقة، وبيان مطالب البحث

مشكلة البحث: رأيت أن الحاجة ماسة لدراسة تتعلق بأثر مراعاة السياق اللغوي في فهم نصوص السنة، وذلك لما يلاحظ من أن كثيرا من طلبة العلم وبعض من يتصدى للاستنباط من نصوص السنة يفهمون كثيرا من كلام المصطفى – صلى الله عليه وسلم- معزولا عن سياقه، غافلين أو جاهلين أن كلامه – صلى الله عليه وسلم– وهو أفصح من نطق بالضاد – ينسجم مع أساليب العرب في بيانها، مصداقا لقوله تعالى: (وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم) (سورة إبراهيم/4) لهذا جاءت هذه الدراسة لتجيب على بعض الأسئلة ذات الصلة وهي:

ما المقصود بالسياق اللغوي؟

هل السياق اللغوي له أثر في معنى النص؟

ما عواقب إهمال السياق أثناء فهم النص والاستنباط منه؟

هل توجد نماذج تطبيقية لنصوص من السنة اختلف معناها باختلاف سياقها؟

أهميـة البحـث

1- تُعد هذه الدراسة لبنة في الجهود المبذولة لوضع ضوابط سليمة لفهم نصوص السنة النبوية مستندة إلى المنهج النبوي الكريم المرشد إلى أهمية حسن الفهم، كما جاء في قوله عليه الصلاة والسلام (من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين[1]، وهو نص واضح في أن الفقه هو الأساس، وأن من أحسن التفقه أحسن التدين، وقد نبه عليه الصلاة السلام إلى تفاوت الناس في الفهم، وأن بعضهم أوعى من بعض وأقدر على الاستنباط والتفقه: فقال: (نضر الله امرأ سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب

* قسم أصول الدين، كلية الشريعة، الجامعة الأردنية. تاريخ استلام البحـث 2009/6/22، وتاريخ قبوله 2010/2/11.

© 2011 عمادة البحث العلمي/ الجامعة الأردنية. جميع الحقوق محفوظة.

حامل فقه ليس بفقيه)[2].

2- تسلط هذه الدراسة الضوء على أهمية مراعاة الجانب اللغوي عند دراسة النصوص وتدبرها، وهو الأمر الذي يهمله كثير من طلبة العلم، فاللغة هي وعاء الوحيين من كتاب وسنة، ودون الالتفات إلى قواعد اللغة وأساليبها لن نستطيع أن نفهم نصوص السنة النبوية التي تزخر بكثير من الأساليب النحوية والبلاغية التي كان ينطق بها النبي – صلى الله عليه وسلم- وهو الذي بهر العرب بحسن أسلوبه وعذوبة منطقه وقدرته على البيان وحسن التفهيم، وقد أخبر النبي- صلى الله عليه وسلم- عن نفسه أن الله اختصه بالألفاظ الموجزة كثيرة المعاني واضحة المقصود فقال:

(فُضلت على الأنبياء بست: أُعطيت جوامع الكلم. ونُصرت بالرعب، وأُحلت لي الغنائم، وجعلت لي الأرض طهوراً ومسجدا، وأُرسلت إلى الخلق كافة، وخُتم بي النبيون.[3]

الدراسات السابقـة وصعوبات البحث

لم أعثر على دراسة تتعلق بهذا الموضوع، إنما توجد دراسات متعددة تُعنى بنظرية السياق عموما، وأنواع السياق- السياق المكاني، السياق التاريخي، السياق الاجتماعي... إلخ.

وأقرب ما يتصل بالموضوع، ورقة قدمها الأستاذ فاروق حمادة[4] بعنوان: "مراعاة السياق وأثره في فهم السنة النبوية" انطلق فيها من ضرورة استحضار موضوع السياق في صعيد الفكر الإنساني، وفي صعيد الفكر الإسلامي العام والخاص.

وقسم السياق إلى عام وخاص، وأردف ذلك بالحديث عن السياق في القرآن الكريم بشيء من التفصيل، ثم تحدث عن تطبيقات السياق عند أهل الحديث، ونبه على أن أكثر ميادين هذا العلم التي ورد فيها السياق هو ما يعرف بسبب ورود الحديث؛ مع أن السياق أوسع بكثير منه. وقد قدم أمثلة تبين استعمال المحدثين للسياق، كحديث تأبير النخل، ونقل الحديث المسلسل، وغير ذلك.

وكلامه حفظه الله عن السياق فيه عموم، ودراستي هذه تركز على السياق اللغوي في النص ذاته، دون التعرض لأنواع السياق الأخرى من سبب الورود والظروف الزمانية والاجتماعية والمكانية ونحو ذلك.

وتوجد دراسات تتعلق بالسياق من ناحية أصول الفقه،أو تفسير القرآن الكريم، أسوق إليك عناوين بعض هذه الدراسات:

1- نظرية السياق - دراسة أصولية - نجم الدين قادر كريم الزنكي[5].

وهو كتاب في أصول الفقه الإسلامي يدرس المقصود بالسياق في دراسات الأصوليين قديما وحديثا ويدرس كذلك الأسباب التي من أجلها يأتي إعمال السياق، ومدى الاحتياج إليه وأثره في المعنى، والمسالك التي تستكشف بها القرائن السياقية المقالية، اللفظية منها والمعنوية، وكيف يمكن التقاط دلالة السياق القرآني.

2- نظرية السياق بين القدماء والمحدثين، دراسة لغوية نحوية دلالية- عبد المنعم خليل[6].

3- المناسبة في القرآن: دراسة لغوية أسلوبية للعلاقة بين اللفظ والسياق اللغوي/ عبد الحميد مصطفى شعبان[7].

4- دلالة السياق القرآني وأثرها في التفسير (رسالة ماجستير) جامعة الإمام محمد بن سعود، عبد الحكيم بن عبد الله القاسم.

5- أثر السياق القرآني في التفسير، دراسة نظرية تطبيقية على سورتي الفاتحة والبقرة- د. محمد الربيعة/ رسالة دكتوراة نوقشت في جامعة الإمام في الرياض.

ولا شك أن هناك جوانب مشتركة بين السياق في النص القرآني والسياق في نص الحديث النبوي، لكن النص النبوي له خصائصه، وله أسلوبه، إضافة إلى أن نصوص السنة من الكثرة بمكان، ونتيجة سوء فهمها ظهر كثير من البدع والضلالات، لهذا فإن تغطية هذا الجانب تبقى من مسؤولية أهل العلم، خاصة المختصين بالحديث النبوي وفقهه، والدراسة التطبيقية تبرز كثيرا من الفوائد.

وقد تناولت هذه الدراسة المطالب الآتية:

1- المطلب الأول: مفهوم السياق.

2- كلام علماء الأصول في أهمية مراعاة السياق في فهم الخطاب الشرعي.

3-المطلب الثالث: عناصر السياق اللغوي.

4- المطلب الرابع الإمام الجرجاني وجهوده في بيان أهمية السياق اللغوي في فهم السنة.

5- المطلب الخامس: الدراسة التطبيقية: (حديث من تقرب إلي شبر...) كيف نفهمه في ظل سياقه اللغوي؟

المطلـب الأول: مفهـوم السياق:

السياق في اللغـة: من السوق، يقال: ساقه يسوقه سوقا، وساق الإبل يسوقها سوقا وسياقا، وتساوقت الإبل إذا تتابعت، وساق الحديث أحسن سياق، أي أتى به على أحسن سرد، وسياق الكلام أسلوبه الذي يجري عليه[8]. قال ابن منظور: وفي الحديث: "لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه"[9]: هو كناية عن استقامة الناس وانقيادهم إليه واتفاقهم عليه، ولم يرد نفس العصا وإنما

ضربها مثلاً لاستيلائه عليهم وطاعتهم له، إلاّ أن في ذكرها دلالةً على عسفه بهم وخشونته عليهم.

وفي الحديث: "وسواق يسوق بهن" (10) أي حاد يحدو الإبلَ فهو يسوقهن بحدائِه، وسواق الإبل يقْدُمها؛ ومنه: "رويدك سوقَك بالقَوارير...."(11).

وساقةُ الجيش: مؤخره. وفي صفة مشيه عليه الصلاة والسلام: "كان يسوق أَصحابه"(12) أي يقَدِّمهم ويمشي خلفهم تواضعاً ولا يدع أحداً يمشي خلفه. وفي الحديث في صفة الصالحين: (إن كانت الساقةُ كان فيها وإن كان في الجيش كان فيه)(13). الساقةُ: جمع سائق وهم الذين يسوقون جيش الغُزاة ويكونون من ورائه يحفظونه؛...

ويقال: فلان في السياق أي في النزع..وساقَ فلان من امرأته أي أعطاها مهرها والسياق: المهر(14).

قلت: من خلال تأمل المعاني التي ساقها أهل اللغة لاستعمالات ساق وما يشتق منها، لم أجد أن القدماء استعملوا كلمة السياق لما هو مقصود بها في استعمالات المتأخرين، باستثناء ما أشار إليه ابن فارس، حيث جاء في كلامه إشارة للمعنى الاصطلاحي عندما قال: "وسياق الكلام أسلوبه الذي يجري عليه"، وبقية اللغويين إنما استوحوها من مثل السياق بمعنى المهر وهو ما يساق للعروس، والسياق بمعنى النزع وهو الظرف الذي تُساق فيه الروح إلى باريها، فالسياق هو عملية السوق للإبل أو للمهر أو للجيش أو الناس ونحو ذلك، ثم أُطلق السياق على نفس المهر أو نفس خروج الروح للملابسة، وهكذا السياق اللغوي هو في الأصل بمعنى سوق الكلام وهو الإتيان به وصياغته، ثم أُطلق على الكلام نفسه سابقه ولاحقه، والطريقة التي جاء فيها.

السياق في اصطلاح المتأخرين:

في (المعجم الوسيط): "مؤدى الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ أو تحديد المعاني المرادة من بين معانيها " أو هو: " النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم"(15).

وقال العطار: السياق ما سيق الكلام لأجله"(16).

ومن تعريفات المعاصرين:

- الناظم الذي يعطي للكلمة في ارتباطها بما قبلها وما بعدها معناها المقصود.

- الجو العام الذي يحيط بالكلمة وما يكتنفها من قرائن وعلامات.

- مؤدى الكلام السابق واللاحق ومقتضاه في تفسير بعض الألفاظ وتحديد المعاني المرادة من بين معانيها(17).

وبالنظر في استعمالات العلماء لكلمة السياق يظهر المقصود وهو: الظرف الذي سيقت فيه الكلمة أو الجملة المراد فهمها، وهذا الظرف (وهو كل ما أحاط بالنص من قرائن) تحدد المراد من النص، لهذا لا يجوز قطع الكلمة أو الجملة عن سياقها بل لا بد أن تُفهم في ظل ما أحاط بها: مما هو قبلها أو بعدها في النص، وكذا المناسبة التي قيل فيها النص، وغير ذلك مما يساعد على فهمها مثل الظرف المكاني والبيئة الاجتماعية والثقافية، والمقاصد التشريعية وأحوال المخاطبين فكل ذلك أساس في سياق النص ومظلة هادية لصواب الفهم.

والذي يهمنا في هذه الدراسة هو السياق اللغوي- أو السياق المقالي-، ونعني به الأسلوب الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة، فعلى هذا أستطيع القول:

إن السياق اللّغوي: هو "الوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة فيفهم المعنى بالنظر الى الأسلوب الذي اكتنف العبارة بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام".

فالأسلوب اللغوي هو جزء من السياق العام. لأننا نقصد به المعنى النحوي أو الوظيفي للجملة التي قد يكون لها أكثر من معنى محتمل، فهنا يأتي الأسلوب اللغوي الذي سيق فيه النص فيرفع الاحتمال ويحدد المعنى المراد مع الاستعانة بباقي القرائن السياقية فيفهم معنى الكلمة بصورة متكاملة في ظل النص كله، ولا يكون نظرا قاصرا على ظاهر الكلمة والجمود على ذلك مع العلم بوجود الفوارق في المعنى بحسب موقع الكلمة من النظم، فهنا نعطي حظا وافرا ضروريا للصورة الكلية بربط الجزئيات، فلا نقدر على فهم الكلمة إلا في ظل معرفة موقعها من النص.

وقد يكون السياق يحتوي دلالة واحدة أو أكثر، وكلما كثرت الدلالات ساعد ذلك في فهم النص وبيان المجمل وتعيين المحتمل وتنزيل الكلام على المقصود منه، بعيدا عن الحرفية في الفهم التي تتنافى مع الفقه الصحيح المطلوب، ومن وقع في ذلك كان له حظ من قوله عليه الصلاة والسلام ذاما للخوارج: (يقرأون القرآن لا يجاوز حناجرهم)(18) يعني بذلك أنهم لا يتدبرونه ولا يفقهون معانيه على الوجه الشرعي المطلوب.

وأنسب مثال لبيان المراد من السياق اللغوي هو الألفاظ المشتركة الدلالة، فإن تلك الألفاظ لا يمكن تحديد المراد منها إلا بواسطة السياق الذي جاءت فيه؛ فمثلاً كلمة (الأمة) في قوله تعالى: (وإذ قالت أُمة منهم) من سورة الأعراف، بمعنى الجماعة، معناها غير ما هو في قوله تعالى: (ولئن أخّرنا عنهم العذاب إلى أُمة معدودة) (هود:8)، بمعنى المدة الزمنية، وكلاهما معناه غير ما جاء في قوله تعالى: (إنا وجدنا آباءنا

على أُمة) (الزخرف:22)، بمعنى طريقة، والشيء نفسه يقال في كثير من الكلمات المشتركة التي تأتي في نصوص الكتاب والسنة.

فإذا كانت العبارة تحتمل عدة معان فإن المعنى الأقرب هو الذي يدل عليه السياق، لأن السياق من تركيب الكلام وأساس في نظمه، فالالتفات للسياق يساعد في فهم المراد في أي نص نقرأه ومن ذلك نصوص السنة النبوية، وذلك لأن من استعمالات العرب للمفردة الواحد أن يستعملوها حسب المعنى المراد وهو ما يسمى الاستعمال السياقي.

ومن الاستعمال السياقي انطلقت كتب الوجوه والنظائر في تعيين الوجوه للألفاظ القرآنية، لذا تعددت الوجوه للفظ الواحد الذي يعود إلى معنى لغوي واحد؛ لأنه لا اعتبار لأصل اللفظ ولا لاستعمال العرب في تحديد الوجوه إلا إذا كان هو المعنى المراد في السياق. "فالألفاظ اللغوية لها عدة معان، ولا يحدد أحد معانيها إلا سياقها الواردة فيه، فإن لم ينظر في السياق نظرة كلية، وبناء عليه يتم تحديد المراد من اللفظ؛ فإن الخلل سيتطرق إلى تفسير تلك اللفظة؛ وبالتالي الوقوع في الإغراب في التأويل الذي يعد فسادا منهجيا"[19].

قلت: إن فهم الكلمة وتحريرها من معانيها المشاركة لها لا يتوقف على السياق اللغوي، إنما يضاف إليه باقي وسائل الفهم المحتفة بالنص.

المطلب الثاني:

كلام علماء الأصول في أهمية مراعاة السياق في فهم الخطاب الشرعي:

نبه علماؤنا السابقون على ضرورة مراعاة كل ما من شأنه أن يؤدي إلى الفهم الصحيح للنصوص ومن ذلك معرفة مقاصد الشريعة ومعرفة سبب ورود الحديث ومعرفة السياق الاجتماعي، ثم أصول الفقه والاستنباط والسياق اللغوي، وإن عدم مراعاة ذلك أدت إلى سوء الفهم وسوء الاستنباط وبالتالي خروج آراء شاذة وفهوم مستبشعة.

ونجد أن الأصوليين قد تكلموا عن السياق وأهميته في باب الحديث عن القرائن الحالية واللفظية، وجاء حديثهم عنه موزعا عند كلامهم على دلالات الألفاظ، لما لذلك من أهمية كبيرة في فقه النص، وهذه بعض العبارات ذات الصلة من كلام الأصوليين:

الإمام الشافعي:

قال رحمه الله: (باب الصنف الذي يبين سياقه معناه) ذكر فيه آيات كريمة فيها تحديد معنى بعض الألفاظ التي لها أكثر من معنى بالسياق، وبين أن السياق يستعمل لتحديد المعنى المراد للألفاظ المشتركة أو الموهمة[20].

وفي موضع آخر بين: "أن الله خاطب العرب بكتابه بلسانها على ما تعرف من معانيها ثم ذكر مما يعرف من معانيها اتساع لسانها وأن تخاطب بالعام مرادا به ظاهره وبالعام يراد به العام ويدخله الخصوص ويستدل على ذلك ببعض ما يدخله في الكلام وبالعام يراد به الخاص ويعرف بالسياق وبالكلام ينبئ أوله عن آخره وآخره عن أوله وأن تتكلم بالشيء تعرفه بالمعنى دون اللفظ كما تعرف بالإشارة وتسمى الشيء الواحد بالأسماء الكثيرة والمعاني الكثيرة بالاسم الواحد ثم قال فمن جهل هذا من لسانها وبلسانها نزل الكتاب وجاءت به السنة فتكلف القول في علمها تكلف ما يجهل بعضه ومن تكلف ما جهل وما لم يثبته معرفة كانت موافقة الصواب إن وافقه من حيث لا يعرفه غير محمودة وكان بخطئه غير معذور إذا نطق فيما لا يحيط علمه بالفرق بين الصواب والخطأ فيه[21].

ابن دقيـق العيـد:

بين رحمه الله تأثير السياق على حسن فهم النصوص فقال: "..فإن السياق طريق إلى بيان المجملات وتعيين المحتملات وتنزيل الكلام على المقصود منه، وفهم ذلك قاعدة كبيرة من قواعد أصول الفقه ولم أر من تعرض لها في أصول الفقه بالكلام عليها وتقرير قاعدتها مطولة إلا بعض المتأخرين ممن أدركنا أصحابهم، وهي قاعدة متعينة على الناظر وإن كانت ذات شغب على المناظر[22].

- ابن قيم الجوزية:

أوضح أهمية مراعاة السياق في فهم مراد المتكلم فقال: "السياق يرشد الى تبيين المجمل وتعيين المحتمل والقطعي بعدم احتمال غير المراد، وتخصيص العام وتقييد المطلق وتنوع الدلالة، وهذا من أعظم القرائن الدالة على مراد المتكلم فمن أهمله غلط في نظره وغالط في مناظرته، فانظر إلى قوله تعالى: (ذق إنك أنت العزيز الكريم) -الدخان 46- كيف تجد سياقه يدل على أنه الذليل الحقير[23].

وقد حذر ابن القيم من عدم مراعاة ضوابط فهم النصوص، وما يؤدي إليه من عواقب وخيمة فقال: "ينبغي أن يفهم عن الرسول مراده من غير غلو ولا تقصير، فلا يحمل كلامه ما لا يحتمله، ولا يقصر به عن مراده وما قصده من الهدى والبيان، وقد حصل بإهمال ذلك والعدول عنه من الضلال عن الصواب ما لا يعلمه إلا الله، بل سوء الفهم عن الله ورسوله أصل كل بدعة وضلالة نشأت في الإسلام، بل هو أصل كل خطأ في الأصول والفروع، لا سيما إذا أضيف

إليه سوء القصد، فيتفق سوء الفهم في بعض الأشياء من المتبوع من حسن قصده، وسوء القصد من التابع...[24].

قال الشاطبي – رحمه الله: "هذا قوله وهو الحق الذي لا محيص عنه""[25].

ومن هنا فإن أغلب المهتمين بالدراسات الأدبية والبيانية والنقدية، ودراسات التفسير وفقه النص يعدون السياق من أفضل المناهج لدراسة المعنى[26].

وإذا كان السياق اللغوي بهذه الأهمية، وعماده الأسلوب اللغوي الذي يحتوي النص، فمن المهم بيان عناصر السياق:

المطلب الثالـث: مستويات الكلام

1- المعنى المعجمي: وهو يتمثّل في معنى كل كلمة في الجملة ودلالة اللغة عليها ابتداء في أصلها، وهو اللبنة الأولى في فهم المفردات، بغض النظر عن موقعها في الجملة، ومن هنا نلاحظ أن ابن فارس في كتابه معجم مقاييس اللغة يبرز المعنى المعجمي للكلمة بردها إلى أصلها ويبين أصل المعنى.

لكن الدلالة المعجمية لا تستقل بتحديد المعنى، فلا بد من النظر في موقعها من الجملة (التركيب والنظم) خاصة إن كان هناك غموض في دلالتها.

2- الاضافة (أو المصاحبة): وأعني به ما يضاف للكلمة من كلمات تؤثر في معناها وتحدده، فمثلا كلمة (يد) يختلف معناها في التعبيرات الآتية لاختلاف المفردات المضافة لها: أياد بيضاء، يد القوس، يد الرحى، خفيف اليد،...

ومثل ذلك ما ذكره الزمخشري عن كلمة "أنف" حيث اختلفت معانيها بسب اختلاف الإضافة:

أنف القوم:"كبيرهم وسيدهم"، أنف الجبل: "الجزء المتقدم من الجبل"، أنف النهار: "أوله"، أنف الدهر: "أوله"، أنف الخيل:"مقدمتها".

2- تركيب الكلمات والجمل (الأسلوب والنظم)

فكل تركيب للكلام له معنى نظمي يختلف عن غيره، وقد بين العالم اللغوي عبد القاهر الجرجاني- رحمه الله- ارتباط المعاني بحسب موقع الكلمات والجمل نحويا وصرفيا وبيانيا في كتابه القيم "دلائل الإعجاز"، مركزا على هذا المعنى في القرآن الكريم، وتعرض لشيء من ذلك بخصوص السنة في كتابه " أسرار البلاغة" –

فالأسلوب البلاغي الذي أُلف فيه الخطاب له أثره في فهم المعنى، حيث تأتي الكلمة بقالب فيه استعارة أو كناية أو تعريض، فتُفهم من سياقها، مثل:

- قوله تعالى: (يخرجهم من الظلمات إلى النور) – البقرة/257- أي: يخرجهم من الكفر إلى الإسلام، وهي استعارة بلاغية، دلنا عليها سياق الكلام لأن قبلها (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم...)

- ومثل قول الرسول – صلى الله عليه وسلم– في وصف رجل: (لا يضع عصاه عن عاتقه) [27] كناية عن كثرة الترحال والسفر، وقد دلنا أنها كناية سياق الكلام، لأنه جاء في الرواية نفسها أن امرأة سألت النبي- صلى الله عليه وسلم- واستشارته في الزواج من رجلين، فقال النبي- صلى الله عليه وسلم- هذا الكلام ناصحا لها، مبينا أن الرجل كثير السفر لا يصلح لها.

- ومثل قولهم: زيد كثير الرماد: كناية عن الكرم والبذل، وتقال هذه الكلمة في سياق المدح، فيفهم المقصود منها[28].

المطلب الرابع:

الإمام الجرجاني وجهوده في بيان أهمية السياق اللغوي في فهم السنة:

اجتهد الجرجاني – رحمه الله في إبراز نظرية النظم وصلتها بإعجاز القرآن الكريم، وكلامه في ذلك مقرر ومعروف عند الباحثين، لكن يهمنا هنا إبراز بعض من جهده في ذلك بخصوص السنة، مما لم يتناوله أحد – على حد علمي-، فقد كان له لفتات جميلة في بيان أهمية النظر إلى تركيب الكلام وما فيه من دقة وبلاغة لفهم المعنى وأن كل كلمة إنما تُفهم في إطار الصورة الكلية التي جعلت فيها، وأن النص يفهم بنظمه المتكامل دون تفريقه:

1- فعند تعليقه على حديث: (إنما الناس كالإبل المائة لا تكاد تجد فيها راحلة)[29]. قال: لا بد من المحافظة على ذكر المشبه به الذي هو الإبل، فلو قلت: "الناس لا تجد فيهم راحلة" أو " لا تجد في الناس راحلة" كان ظاهر التعسف[30].

قلت: يقصد بالتعسف هنا أنك إذا فصلت الجملة عن سياقها ا للغوي – وهو ذكر المشبه والمشبه به معا أسأت فهم النص وخرجت به عن مقصوده لأن سياق النص يعطي مدلولين، أحدهما: تساوي الناس في الأحوال عموما، والآخر: بيان أن المرضيين منهم قليل مثل الراحلة في الإبل.

وقال الجرجاني في موضع آخر:"هل تقدر أن تقول رأيت إبلا مائة لا تجد فيها راحلة"، في معنى رأيت ناسا، والإبل المئة التي لا تجد فيها راحلة تريد الناس، كما قلت: "رأيت أسدا " على معنى رجلا كالأسد".

يريد - رحمه الله- أن الكاف في قوله " كالإبل المائة" وقعت موقعها المناسب في سياق الكلام، وأن العبارة بهذا التركيب تُفهم على غير ما تُفهم لو حذفت الكاف، وأن سياق الكلام اقتضى مثل هذا التركيب وهذا الفهم.

2- وتكلم الجرجاني أيضا عن فحوى الكلام - الذي يعني به السياق- وأثره في فهم المراد، قال: مثال ذلك أنك إذا سمعت قوله:

"ترنح الشَرب واغتالت حلومهم شمس ترجل فيهم ثم ترتحل".

واستدللنا بالسياق الذي ذُكر فيه الشرب واغتيال الحلوم والارتحال أنه أراد قينة، ولو قال: "ترجلت شمـ ـس" دون أن يذكر شيئا من أحوال الآدمييـ ـن لم يعقل قط أنه أراد امرأة، ثم قال: ولذلك تجد الشيء يلتبس منه حتى على أهل المعرفة كما روي أن عدي بن حاتم اشتبه عليه المراد بلفظ الخيط في قوله تعالى: (حتى يتبين لكم الخيطُ الأبيض من الخيط الأسود...) - البقرة/187- وحمله على ظاهره، فقد روي أنه قال لما نزلت هذه الآية: أخذت عقالا أسود وعقالا أبيض فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين، فذكرت ذلك للنبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: (إن وسادك لطويل عريض، إنما هو الليل والنهار[31][32].

وقوله:"اشتبه عليه... " إنما يريد بها أن يؤكد أن عدي بن حاتم- مع أنه من أهل المعرفة- التبس عليه معنى الخيط فحمله على المعنى المعجمي دون التنبه إلى السياق، لأن سياق الآية يوضح ويدل أن المراد بياض الفجر أول ظهوره وقد شبهه بالخيط المعروف لدينا، وقد اختلف العلماء في قول الرسول - صلى الله عليه وسلم-: "إن وسادك لعريض.." هل هو كناية عن كثرة نومه، أو كناية عن طول ليله، أو هو تعريض بعدم فطنته[33] وعلى كل الأحوال فهو لم يفطن للمعنى الحقيقي للآية.

- وقد شنع الجرجاني على طائفتين من الناس في تعاملهم مع النصوص حيث لا يراعون نظم الكلام ولا يلتفتون إلى الأسلوب الذي هو جزء من اللغة.

الطائفة الأولى: وهم من يفْرِط في تعاطي التأويل ويحرص على تكثير الوجوه وينسون أن احتمال اللفظ شرط في كل ما يعدل به عن الظاهر، وأن هؤلاء القوم يتركون السليم من المعاني إلى السقيم منها، ويبين أن هذه آفة عظيمة تدل على الجهل بحقيقة أساليب البيان، وأن الخطأ فيه مورط لصاحبه، وفي مثل هؤلاء قال الرسول- صلى الله عليه وسلم- (يحمل هذا العلم من كل خلَف عدولُه، ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)[34].

قال: وليس حمله روايته وسرد ألفاظه بل العلم بمعانيه ومخارجه وطرقه ومناهجه، والفرق بين الجائز والممتنع..."

ثم ذكر الطائفة الأخرى وهم الذين فرطوا في فهم النصوص فلم يحملوها على معانيها التي تُفهم من سياقها، وجمدوا على ظاهر النصوص دون التفات إلى أساليب العرب في بيانها الذي نزل القرآن به في قوله تعالى: (بلسان عربي مبين)- الشعراء/195-، ووصف هؤلاء بأن فكرهم واقف لا يجيء ولا يذهب، وأنه بعيد عن العقل وفيه شيء من رائحة الجهل[35].

قلت: غرضه النبيل من كلامه واضح، ويدل على سعة أفقه وتمكنه من البيان وطرقه، لكن لا بد من لفت النظر إلى أن من يأخذ بظاهر النصوص ليسوا على درجة واحدة، ففيهم من ينطبق عليهم كلام الجرجاني، وفيهم من هو من أهل التحقيق الذين يميزون بين ما كان مرادا منه ظاهر النص، وما كان مرادا منه معناه المفهوم من السياق، فليس من العدل وضع الناس كلهم في درجة واحدة.

3- وفي موضع آخر، يؤكد الجرجاني على أهمية السياق فقد بين "... أن اليد لها معنى في أصل اللغة وهو العضو المعروف، لكن إذا وضعت في سياق معين فإنها يراد بها القدرة، مثل قولك: فلان طويل اليد، يراد فضل القدرة، فأنت لو وضعت القدرة هنا في موضع اليد أحلت، كما أنك لو حاولت في قول النبي –صلى الله عليه وسلم– وقد قالت له نساؤه: أيتنا أسرع لحاقا بك يا رسول الله؟ فقال: (أطولكن يدا)[36] يريد السخاء والجود وبسط اليد بالبذل، إن تضع موضع اليد شيئا مما أُريد بهذا الكلام خرجت عن المعقول، وذلك أن الشيء مأخوذ من مجموع الطول واليد مضافا ذلك إلى هذه، وطلبه من اليد وحدها طلب للشيء على غير وجهه"[37].

قال: وهكذا قول النبي– صلى الله عليه وسلم– (المؤمنون تتكافأ دماءهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم)[38] المعنى: وإن كان على قولك وهم عون على من سواهم، فلا تقول إن اليد بمعنى العون حقيقة بل المعنى أن مثلهم مع كثرتهم في وجوب الاتفاق بينهم مثل اليد الواحدة، فكما لا يتصور أن يخذل بعض أجزاء اليد بعضا، وأن تختلف بها الجهة في التصرف كذلك سبيل المؤمنين في تعاضدهم على المشركين لأن كلمة التوحيد جامعة لهم، فلذلك كانوا كنفس واحدة، فهذا كله مما يعترف لك كل أحد فيه بأن اليد على انفرادها لا تقع على شيء.[39].

يعني أنه لا بد أن يفهم معناها في سياقها

4- وقد استنكر الجرجاني على من يفسر الكلمة بمعزل عن سياقها والغرض الذي أُريد بها، وبين أن ذلك من التخليط، قال: كنحو ما ذكره بعضهم في قول الشاعر:

هون عليك فإن الأمور بكف الإله مقاديرها.

فإنه استشهد به في تأويل خبر جاء في عظم الثواب على

الزكاة إذا كانت من الطيب، ثم قال: الكف هنا بمعنى السلطان والملك والقدرة، قال: وقيل الكف هنا بمعنى النعمة، والخبر هو ما رواه أبو هريرة عن النبي – صلى الله عليه وسلم– :(إن أحدكم إذا تصدق بالتمرة من الطيب ولا يقبل الله إلا الطيب جعل الله ذاك في كفه فيربيها كما يربي أحدكم فلوه حتى يبلغ بالتمرة مثل أحد)(40).

قال الجرجاني: ما يظن بمن نظر في العربية يوما أن يتوهم أن الكف تكون على هذا الإطلاق وعلى الانفراد بمعنى السلطان والقدرة والنعمة، لكن أراد المثل فأساء العبارة.(41).

قلت: يريد أن القائل إن الكف هنا بمعنى القدرة أساء العبارة، لأنه فسر الكف بمعزل عما قبلها وبعدها في نظم الحديث، وإنما كان ينبغي أن يفسر على السياق، وقد أوضح القزويني المراد بالمثل الذي أشار إليه الجرجاني فقال: "المعنى فيه على انتزاع الشبه من المجموع، وكل هذا يسمى التمثيل على سبيل الاستعارة"(42). فهو تعبير عن مزيد فضل الله بحفظ الأجر ومضاعفته كمن يحفظ فلوه ويربيه. لأن العادة جرت أن من يريد الاهتمام بالشيء أمسكه بكفه، فالنظر للسياق اللغوي يعصم من الشطط في الفهم، وكل هذا لا يتعارض مع ما جاء عن السلف رحمهم الله:" أمروها كما جاءت" وقولهم: "تفسيرها قراءتها"(43)، لأن المقصود عدم الخوض في الصفات الخبرية بالسؤال عن الكنه والكيفية، مما يوقع في التأويل أو التشبيه، ولم يقصدوا عدم فهم الكلمة أو الجملة في ضوء السياق، لأن الغرض الذي سيق له الكلام واضح المغزى، وإذا كان المعنى المشروح هو ظاهر اللفظ بالقرينة المفهومة من السياق لم يكن شرحه بذلك تأويلاً ولا صرفاً له عن ظاهره، لأن ظاهر اللفظ يؤخذ من النظم والتركيب، دون النظر إلى معنى الكلمة الواحدة.

المطلـب الخامـس: الدراسة التطبيقية

حديث (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا...): كيف نفهمه في ظل سياقه اللغوي؟

أخرج الإمام مسلم عن أبي ذر الغفاري – رضي الله عنه عن النبي – صلى الله عليه وسلم– قال:(يقول الله عز وجل: من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها وأزيد. ومن جاء بالسيئة، فجزاؤه سيئة مثلها أو أغفر. ومن تقرب مني شبرا تقربت منه ذراعا. ومن تقرب مني ذراعا، تقربت منه باعا، ومن أتاني يمشي، أتيته هرولة. ومن لقيني بقراب الأرض خطيئة لا يشرك بي شيئا لقيته بمثلها مغفرة (44).

وأخرج الشيخان عن أبي هريرة- رضي الله عنه: قَالَ قَالَ النبي - صلى الله عليه - يَقُولُ الله تَعَالَى: (أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عبدي بِي وَأَنَا معه إذَا ذَكَرَنِي فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِه ذَكَرْتُه في نَفْسِي، وإن ذَكَرَنِي في ملَأ ذَكَرْتُه في مَلَإٍ خَيْرٍ منْهم، وإن تَقَرَّب الَي بِشبرٍ تَقَرَّبتُ الَيه ذراعا، وان تَقَرَّب إلَي ذراعا تَقَرَّبتُ إلَيه باعا، وإن أَتَانِي يمشي أتيته هرولةً)(45).

وأخرج البخاري عن أَنَسٍ رضي الله عنْه عن النبي -صلى الله علَيه وسلم – يرويه عن ربه قَالَ: (اذَا تَقَرَّب الْعبد الَي شبرا تَقَرَّبتُ الَيه ذراعا وإِذَا تَقَرَّب مني ذراعا تَقَرَّبتُ منْه باعا واذَا أَتَانِي مشْيا أتيته هرولةً. (46)

هذا الحديث أثار شبهات بعض المبتدعة والمشنعين على أهل الحديث، قديما وحديثا، أما قديما فمن خلال بعض المعتزلة الذين كانوا يتصيدون أمثال هذه الروايات مما يحتاج إلى معرفة اللغة، وكذا معرفة بأساليب الرسول-صلى الله عليه وسلم- في توضيح الأمور ومخاطبة الناس بالطرق البلاغية، فضلا عن الاطلاع على النصوص وفقهها ومعرفة مقاصد الشريعة.

وإذا جئنا للإمام البخاري وهو معروف بفقهه ومنهجه في اتباع السنة والاقتداء بالسلف، لنعرف فهمه للحديث وأين أخرجه نجده أخرج الحديث في كتاب التوحيد، ولم يجعل باباً لصفة خبرية كما فعل في أبواب الصفات الأخرى الثابتة التي يراها، إنما جعله في بابين هما: "باب قول الله تَعالَى ويحذركُم الله نَفْسه وقوله جل ذكْره تَعلَم ما في نَفْسي ولَا أَعلَم ما في نَفْسك"، حيث جاء في نص الحديث ما يدل على ذلك وهو قوله: (فَإِنْ ذَكَرَنِي في نَفْسِه ذَكَرْتُه في نَفْسِي).

وأخرجه في باب ذكر النبي - صلى الله علَيه وسلم- وروايته عن ربه"، وقد خرجه فيه لأنه حديث قدسي، وأخرج معه في الباب حديثا قدسيا آخر هو حديث: (كل عمل ابن آدم له إلا الصوم...)

وقد أخرج ابن بطة الحديث السابق، ثم نقل عن ابن نُمير أنه قال:" فقلت للأعمش: من يستشنع هذا الحديث؟ فقال إنما أراد في الإجابة."(47)

والحديث ذكره ابن قتيبة في كتابه:"تأويل مختلف الحديث" ليبن معناه، وليدحض شبهة المبتدعة والمشنعين على أهل السنة، وبين أنهم قد أُتوا من قبل جهلهم باللغة فأبرز معنى الحديث بحسب السياق اللغوي:

قال: إن هذا تمثيل وتشبيه، وإنما أراد من أتاني مسرعا بالطاعة أتيته بالثواب أسرع من إتيانه، فكنّى عن ذلك بالمشي وبالهرولة، كما يقال: فلان موضع في الضلال، والإيضاع سير سريع لا يراد به أنه يسير ذلك السير، وإنما يراد أنه يسرع إلى الضلال، فكنى بالوضع عن الإسراع، وكذلك قوله: (والذين سعوا في آياتنا معاجزين)، والسعي الإسراع في

المشي وليس يراد أنهم مشوا دائما، وإنما يراد أنهم أسرعوا بنياتهم وأعمالهم.(48)

قلت: وابن قتيبة- رحمه الله- من علماء السنة المتضلعين في اللغة، وهو الحريص على عقيدة الأمة والدفاع عنها، وكان يسمى "لسان أهل السنة"، وهو لا يألو جهدا في تثبيت وتقرير عقيدة أهل السنة، فلو كان هذا الحديث النبوي هدفه تقرير صفة لله تعالى لنافح عنه، لكنه بحسه اللغوي وحسن فهمه وإدراكه لأساليب اللغة بين المعنى المتبادر الذي يحتمله سياق النص، الذي تضمن تصوير المعقول بالمحسوس، حيث شبه مقدار التقرب إلى الله وهو معقول بشيء محسوس وهو الشبر والذراع والمشي والهرولة، ليكون أقرب إلى الأفهام.

وقال أبو حاتم ابن حبان –رحمه الله- "اللهُ أجل وأعلى من أن ينسب إليه شيء من صفات المخلوق إذ ليس كمثله شيء، وهذه ألفاظ خرجت من ألفاظ التعارف على حسب ما يتعارفه الناس مما بينهم،... ومن تقرب إلى الباري جل وعلا بقدر شبر من الطاعات كان وجود الرأفة والرحمة من الرب منه له أقرب بذراع، ومن تقرب إلى مولاه جل وعلا بقدر ذراع من الطاعات كانت المغفرة منه له أقرب بباع، ومن أتى في أنواع الطاعات بالسرعة كالمشي أتته أنواع الوسائل ووجود الرأفة والرحمة والمغفرة بالسرعة كالهرولة والله أعلى وأجل"(49).

وقال الخطابي: هذا مثل، ومعناه حسن القبول ومضاعفة الثواب على قدر العمل الذي يتقرب به العبد إلى ربه حتى يكون ذلك ممثلا بفعل من أقبل نحو صاحبه قدر شبر فاستقبله صاحبه ذراعا، وكمن مشى إليه فهرول إليه صاحبه قبولا له وزيادة في إكرامه وقد يكون معناه التوفيق له والتيسير للعمل الذي يقربه منه.(50)

قلت: وكلام هؤلاء العلماء واضح وفيه كفاية، ويستخلص منه: أن إقبال العبد اليسير عبر عنه الحديث بقوله:" من تقرب مني شبرا" "وإن أتاني يمشي"، ثم عبر عن الإقبال الحثيث بقوله: " ومن تقرب مني ذراعا"، يقابله إقبال الرب بالمغفرة والرحمة ومزيد الثواب المعبر عنه بقوله: " تقربت منه ذراعا" "أتيته هرولة"، كناية عن مضاعفة الأجر ومزيد الفضل، وظاهر من السياق أن العبد لا يتقرب إلى الله تعالى بالمشي المعروف، إنما يتقرب بالتوبة وبالصلاة والصوم، وقد يكون في كل ذلك واقفا لا يمشي، فإذا لم يكن المراد في تقرب العبد حقيقة الشبر وحقيقة المشي، فإن ما يقابله من تقرب الله بالذراع وبالهرولة لا يراد به حقيقته بالمعنى المعجمي، إنما تركيب الكلام يحدد أن المراد إكرام العبد بمزيد الفضل والثواب أكثر مما يعمل.

والذي يستقرىء السنة النبوية يجد أن هذا الأسلوب النبوي في التعبير عن القلة والكثرة له نظائر كثيرة، فمنها: حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال:(من رأى من أميره شيئا يكرهه فليصبر عليه، فإنه من فارق الجماعة شبرا فمات إلا مات ميتة جاهلية(51) متفق عليه.

وحديث:(من فارق الجماعة شبرا فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه)(52) أخرجه أبو داود

فهنا التعبير بالشبر كناية عن الخروج اليسير مهما كان، لتشنيع وذم الخروج عن طاعة الإمام مهما قلّت، وصور ذلك بمقياس محسوس، وله نظائر في السنة: مثل (الذراع، الباع، فواق ناقة، حبة خردل، مثقال ذَرة...).

ويوضح ذلك حديث فيه ذكر المشي والسعي تعبيرا عن القلة والكثرة، وهو ما أخرجه الشيخان عن أبي هريرة - رضي الله عنه- قال:قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، من تشرف لها تستشرفه، ومن وجد فيها ملجأ فليعذ به)(53)

وفي رواية أخرى (تكون فتنة النائم فيها خير من اليقظان، واليقظان فيها خير من القائم، والقائم خير من الساعي.(54)

نقل ابن حجر عن بعض شراح الحديث: (والقاعد فيها خير من القائم):أي القاعد في زمانها عنها

والمراد بالقائم الذي لا يستشرفها، وبالماشي من يمشي في أسبابه لأمر سواها فربما يقع بسبب مشيه في أمر يكرهه.

قال الحافظ ابن حجر: "وحكى ابن التين عن الداودي أن الظاهر أن المراد من يكون مباشرا لها في الأحوال كلها يعني أن بعضهم في ذلك أشد من بعض، فأعلاهم في ذلك الساعي فيها بحيث يكون سببا لإثارتها ثم من يكون قائما بأسبابها وهو الماشي، ثم من يكون مباشرا لها وهو القائم، ثم من يكون مع النظارة ولا يقاتل وهو القاعد، ثم من يكون مجتنبا لها ولا يباشر ولا ينظر وهو المضطجع اليقظان، ثم من لا يقع منه شيء من ذلك ولكنه راض وهو النائم والمراد بالأفضلية في هذه الخيرية من يكون أقل شرا ممن فوقه على التفصيل المذكور".(55)

قلت: والهدف من هذا النقل بيان أن شراح الحديث النبوي بينوا أن التعبير بكلمة الماشي والقائم هو من باب الكناية والتقريب للمعنى، بإبراز المعقول بصورة محسوسة، فتفاوت الناس في مباشرة الفتنة يتفاوت مثل تفاوت حركة الناس على الأرض:النائم ثم القاعد(أو اليقظان) ثم الماشي ثم الساعي

وهكذا.

وهذا ليس ببعيد عن الحديث موضوع الدراسة الذي فيه:(ومن أتاني يمشي أتيته هرولة..) إذ المقصود بيان التفاوت ما بين عمل العبد ومجازاة الرب الكريم.

ولم يغب هذا المعنى عن شيخ الإسلام ابن تيمية فقال:

"هو سبحانه يحب من يحبه، لا يمكن أن يكون العبد محبا لله والله تعالى غير محب له، بل بقدر محبة العبد لربه يكون حب الله له وإن كان جزاء الله لعبده أعظم، كما في الحديث الإلهي الصحيح عن الله تعالى أنه قال: (من تقرب إلي شبرا تقربت إليه ذراعا ومن تقرب إلي ذراعا تقربت إليه باعا ومن أتاني يمشي أتيته هرولة"[56].

قلت: ولأجل هذا لم يؤثر عن أحد ممن يقُتدى به من سلف الأمة ولا من المتأخرين المحققين من يثبت صفة المشي والهرولة لله تعالى بناء على الحديث المذكور إذ هو بمعزل عن أن يكون المراد به إثبات هذا.

ولم يفطن بعض أهل العلم المعاصرين لسياق النص وما يفهم من تركيب الكلام، وخشي أن يقول كلاما يعد من التأويل المذموم، فأثبت ما تدل عليه كلمة "تقربت إليه ذراعا" وأثبت المشي والهرولة، وقال:" إنها صفات لله تعالى نثبتها بلا كيف"[57] على قاعدة إثبات الصفات، وعند التأمل نجده كلاما بعيدا عن التحقيق وقد يكون منطلقه عدم التبحر في اللغة وأساليبها، وهذا الإثبات في نظري لصفات لم ترد في الكتاب أو السنة بطريقة واضحة يعود بالضرر على عقيدة أهل السنة إذ التوسع في هذا دون ضوابط محررة يسيء أكثر مما ينفع.

وقد انتبه من العلماء المعاصرين الشيخ ابن عثيمين-رحمه الله- إلى أثر السياق في فهم هذا الحديث فقال:

"من مسائل العقيدة ما يعمل فيه الإنسان بالظن، مثلاً: في قوله تعالى: (من تقرب إلي شبراً تقربت منه ذراعاً)، لا يجزم الإنسان بأن المراد القرب الحسي، فإن الإنسان لا شك ينقدح في ذهنه أن المراد بذلك القرب المعنوي،(من أتاني يمشي أتيته هرولة)، هذا أيضاً لا يجزم الإنسان بأن الله يمشي مشياً حقيقياً هرولة، ينقدح في ذهنه أن المراد الإسراع في إثابته وأن الله تعالى إلى الإثابة أسرع من الإنسان إلى العمل، ولهذا اختلف علماء أهل السنة في هذه المسألة هل هو هذا أو هذا؟

فأنت إذا قلت هذا أو هذا لست تتيقنه كما تتيقن نزول الله عز وجل الذي قال فيه الرسول عليه الصلاة والسلام:(ينزل ربنا إلى السماء الدنيا)[58]، هذا لا يشك فيه الإنسان أنه نزول حقيقي، وكما في قوله: { استوى على العرش } الأعراف 54، لا يشك الإنسان أنه استواء حقيقي..."[59].

وقال في موضع آخر: "وذهب بعض العلماء من أهل السنة إلى أن قوله: (أتيته هرولة) يراد به سرعة قبول الله تعالى وإقباله على العبد المتقرب إليه المتوجه بقلبه وجوارحه إلى ربه. وقال: إن هذا هو ظاهر اللفظ بدليل أن الله تعالى قال: "ومن أتاني يمشي". ومن المعلوم أن طالب الوصول إلى الله لا يطلبه بالمشي فقط بل يطلبه تارة بالمشي كالسير إلى المساجد والمشاعر والجهاد، ونحوها، وتارة بالركوع والسجود ونحوهما، فعلم بذلك أن المراد بذلك كيفية طلب الوصول إلى الله تعالى، وأن الله تعالى يجازي الطالب بأعظم من عمله وأفضل. وإذا كان هذا ظاهر اللفظ بالقرينة الشرعية المفهومة من سياقه لم يكن تفسيره بذلك تأويلاً ولا صرفاً له عن ظاهره والله أعلم".[60]

أما الشيخ عبد العزيز بن باز-رحمه الله- فقد قال:

"ولا مانع من إجراء الحديث على ظاهره على طريقة السلف الصالح، فإن أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم- سمعوا هذا الحديث من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولم يعترضوه، ولم يسألوا عنه، ولم يتأولوه فهم صفوة الأمة وخيرها، وهم أعلم الناس باللغة العربية، وأعلم الناس بما يليق بالله وما يليق نفيه عن الله- سبحانه وتعالى-، فالواجب في مثل هذا أن يتلقى بالقبول، وأن يحمل على خير المحامل، وأن هذه الصفة تليق بالله لا يشابه فيها خلقه، فليس تقربه إلى عبده مثل تقرب العبد إلى غيره وليس مشيه كمشيهم، ولا هرولته كهرولتهم وهكذا غضبه وهكذا رضاه وهكذا مجيئه يوم القيامة، وإتيانه يوم القيامة للقضاء بين عباده، وهكذا استواؤه على العرش، وهكذا نزوله في آخر الليل كل ليلة، كلها صفات تليق بالله- جل وعلا- لا يشابه فيها خلقه، فكما أن استواءه على العرش، ونزوله في آخر الليل في الثلث الأخير من الليل، ومجيئه يوم القيامة لا يشابه استواء خلقه، ولا مجيء خلق، ولا نزول خلقه، وهكذا تقربه إلى عباد العابدين له، والمسارعين إلى طاعته تقربه إليهم لا يشابهه تقربهم، وليس قربه منهم كقربهم منه، وليس مشيه لهم كمشيهم, ولا هرولته كهرولتهم بل هو شيء يليق بالله لا يشابهه فيه خلقه-سبحانه وتعالى- كسائر الصفات, فهو أعلم بصفاته, وأعلم بكيفيتها-عز وجل-, وقد أجمع سلف الأمة على أن الواجب في صفات الرب، وأسمائه إمرارها كما جاءت، واعتقاد معناها، وأنه حق يليق بالله-سبحانه وتعالى- وأنه لا يعلم كيفية صفاته إلا هو، كما أنه لا يعلم كيفية ذاته إلا هو-سبحانه....، إلخ [61].

قلت: وكلام الشيخ رحمه الله- متعقب بأن منهج إثبات الصفات يقتضي دائما أمران: الأمر الأول: صحة الرواية،

الأمر الآخر: أن يفهم منها أن المراد بها إثبات الصفة وليس تعبيرا عن معنى على أساليب العرب في التوسع في التعبير والتفنن في الخطاب والاستعارة في الكلام، فعندما نقرأ في الأحاديث عن المطر:

عن أنس قال: (أصابنا ونحن مع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- مطر قال فحسر رسول الله -صلى الله عليه وسلم- ثوبه حتى أصابه من المطر. فقلنا يا رسول الله لم صنعت هذا؟! قال: لأنه حديث عهد بربه تعالى)[62].

كل من يتأمل في سياق الكلام يعرف أن المراد بركة الماء النازل من السماء لطهوريته، قبل أن يخالط الأرض وما فيها، وإنما قال "حديث عهد بربه" أي أنه من فضل الله الحادث ومن نعمته الحالية، فالمطر ينزل من السماء بفضل الله وتدبيره.

وعندما نقرأ: أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- خرج محتضناً أحد ابني ابنته وهو يقول: (والله إنكم لتُجبنون وتُبخلون، وإنكم لمن ريحان الله عز وجل وإن آخر وطأة وطئها الله بوج)[63]، نُدرك من السياق وتركيب الكلام أنه تعريض بقرب وفاته – صلى الله عليه وسلم- حيث قرن بين حبه لحفيده وشوقه إليه، وبين شعوره بدنو الأجل لأن الدين قد تم ولأن الله قد أذل المشركين في وقعة حنين – حيث إنها قرب وادي وج قرب الطائف- وهي آخر وقعة مهدت لظهور الدين ومن ثم لم يبق سوى الرحيل واللحاق بالرفيق الأعلى.

هذا ما فهمه علماء الإسلام من تركيب سياق الكلام[64]، ولو فهمناه على ظاهره بحروفه لذهب بنا الفهم بعيدا في ممجوج من القول، وغريب من الاعتقاد.

فهل نستطيع هنا أن نمشي على قاعدة إثبات الصفات، أم لا بد من الالتفات الى السياق وفحوى الكلام وقصد المتكلم واستحضار أن نصوص الشريعة وعاؤها لغة العرب الواسعة بما فيها من بلاغة وأساليب متعددة للتعبير، ولا نقصد هنا الحقيقة والمجاز إنما نتكلم عن أساليب التعبير، لأننا نعلم أن مسلك المجاز ركبه بعض أهل العلم لتسويغ نفي الصفات كما هو معلوم، إنما أساليب اللغة أكبر وأوسع من المجاز.

وأمر آخر وهو أن الصحابة الذين سمعوا هذا الحديث لم يثبت عنهم أنهم أثبتوا هذه الصفة، فلماذا لا نقول أنهم فهموا النص على ما فسره ابن قتيبة لأن هذا ما تقتضيه لغة الصحابة وهم أدرى الناس بها.

ولإلقاء مزيد الضوء على حجة من يفسر الحديث على أنه إثبات صفة نسوق كلام الشيخ عبد العزيز الراجحي معلقا على الحديث وذاهبا إلى ما ذهب إليه الشيخ ابن باز، قال:

"وليس معناه كما قال ابن قتيبة فإنه فيه تأويل؛ أوله، قال: من تقرب إلي بالطاعة وأتاني بها؛ أتيته بالثواب. هذا تأويل. هذا من أثر الصفات... من فسر التقرب من الله بالثواب؛ فقد فسر بالأثر، ولكن هذا التقرب الحقيقي؛ من تقرب إلى الله تعالى تقرب الله إليه؛ صفات حقيقية، وكذلك: (من أتاني يمشي أتيته هرولة)، مثل النزول ومثل العلو والاستواء كلها صفات تليق بجلاله. معناها معروف في اللغة؛ معنى المشي والهرولة معروف في اللغة، كما قال الإمام مالك: الاستواء معلوم؛ أما الكيفية -كيفية اتصاف الله تعالى بها- فلا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى.

والقرب من صفات الله، ومن صفاته المعية، والقرب إلى الله يأتي خاصا، وهو نوعان: قرب من الداعين بالإجابة، وقرب من العابدين بالإثابة...)[65].

قلت: لا شك أن المشي والهرولة معروف معناهما في اللغة وهو المعنى المعجمي، لكن أيضا لا يأتي المشي دائما في اللغة بمعنى واحد إنما ينظر إلى تركيب الكلام، ففي الحديث السابق، (الماشي فيها خير من الساعي)، واضح أن المراد الاجتهاد في الفتنة وليس حقيقة المشي، فليس في كل نص يكون القائل أراد المعنى الأصلي للكلمة، إنما يفهم من السياق أنه أراد فقط المعنى الإجمالي.

وقد جاء في كتاب " صفات الله عز وجل الوارادة في الكتاب والسنة" لعلوي بن عبد القادر السقاف:[66]

"الهرولة صفةٌ فعليةٌ خبريةٌ ثابتةٌ لله عز وجل بالحديث الصحيح: الدليل: حديث أبي هريـرة رضي الله عنه عند البخاري ومسلم: ((وإن أتاني يمشي؛ أتيته هرولةً)) قال أبو إسماعيل الهروي في (الأربعون في دلائل التوحيد): باب الهرولة لله عز وجل، ثم أورد الحديث. وقال أبو إسحاق الحربي في (غريب الحديث) بعد أن أورد حديث أبي هريرة: قولـه: ((هرولة)): مشي سريع أهـ وقال أبو موسى المديني في (المجموع المغيث) في الحديث عن الله تبارك وتعالى: من أتاني يمشي؛ أتيته هرولة))، وهي مشي سريع، بين المشي والعدو اهـ

وهذا إثبات منهما رحمهما الله للصفة على حقيقتها.

قلت: الاحتجاج بالحديث على إثبات أن الهرولة صفة هو احتجاج بموضع النزاع وهو حديث فسره علماء من أهل السنة بخلاف ذلك، والاحتجاج بكلام الهروي في غير محله، لأنه وقع فيما وقعوا فيه من التوسع في الاثبات دون التفات إلى السياق اللغوي، واتباع مثل ابن قتيبة في فهم النص أولى من اتباع الهروي، أما قول إسحاق الحربي والمديني فهما مثل غيرهما من اللغويين يفسرون كلمة الهرولة في أصل اللغة (المعنى المعجمي) ولم يفسروا النص بمجمله حسب

السياق، فنقل كلامهم مع إغفال سياق تفسيرهم خطأ في طريقة الاستدلال في مسألة مهمة، والله تعالى أعلم.

وفي الختـام: أسجل النقاط التالية:
وهي خلاصة البحث ونتائجه

- **السياق اللّغوي**: هو "الوعاء النحوي والبلاغي الذي جاءت فيه الكلمة أو العبارة وهو يدل على المعنى المراد بالنظر الى الأسلوب الذي اكتنف العبارة وما احتفها من قرائن بالنظر إلى ما قبلها وما بعدها من الكلام".
- عند تفسير النصوص والاستنباط منها ينبغي التثبت والتأكد من ظهور المعنى بما يتلاءم مع السياق اللغوي، ولا ينبغي إقصاء تركيب الكلام ودلالته، فيفهم المعنى بصورة متكاملة في ظل النص كله خاصة أن الكلمة الواحدة يتغير معناها في لغة العرب بحسب موقعها وطريقة إيرادها.
- إن إهمال البعد اللغوي في فهم النصوص يوقع في شناعات وسوء فهم، وبالتالي اعتقاد ما لم يرد به الشرع، فمن المناسب إعطاء اللغة وأساليب العرب في الخطاب حضورا عند تفسير النصوص والاستنباط منها، حتى لا نقع في تشنيع الآخر ونسيء الفهم بحجة الاتباع والمشي على قاعدة واحدة.
- إن الأخذ بظاهر الكلام والتركيز على المعنى المعجمي للكلمة هو سبب رئيس في تفسيرات خاطئة للنصوص، وسوء فهم لمراد الشارع نشأ عنه أقوال شاذة، من ذلك شذوذ آراء الخوارج، وشذوذ آراء المشبهة، وشذوذ آراء الظاهرية في مسائلهم الفقهية، وغير ذلك من شواذ الآراء والمذاهب والاعتقادات المعروفة.
- إن الذين حرروا قاعدة الصفات وبينوا عقيدة السلف ونافحوا عنها كانوا على مقدار من التحقيق والتحرير بحيث لم يغفلوا أهمية السياق في فهم النصوص، وهو أمر لم ينتبه له بعض من يتكلم في تفسير النصوص من المعاصرين.

والحمد لله رب العالمين.

الهوامـش

(1) صحيح البخاري، كتاب العلم، رقم69، صحيح مسلم، الزكاة، باب النهي عن المسألة، رقم 1719.

(2) سنن أبي داود، كتاب العلم، باب نشر العلم، رقم: 3175، وسكت عليه، وسنن الترمذي، في العلم، باب الحث على تبليغ السماع، رقم: 2582 وقال: "حسن صحيح"، قلت: وهو حديث صحيح مشهور، من رواية زيد بن ثابت وعبد الله بن مسعود وغيرهما، وعده بعض أهل العلم متواترا.

(3) صحيح مسلم، في كتاب المساجد، رقم: 812، من حديث أبي هريرة.

(4) أستاذ كرسي السنة وعلومها، جامعة محمد الخامس-الرباط)، والمعلومة المذكورة عن الورقة مأخوذة من موقع الرابطة المحمدية للعلماء/ المغرب www.arrabita.ma/contenu.asp، ولا يعرف هل طبعت هذه الدراسة أم لا؟

(5) صادر عن دار الكتب العلمية، 2006.

(6) دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، 2007.

(7) المكتب الجامعي الحديث، 2007.

(8) مقاييس اللغة، ط:117.

(9) الجامع الصحيح، للبخاري، كتاب المناقب، ذكر قحطان، رقم: 3256، ومسلم:في الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى يمر... رقم:5182، من حديث أبي هريرة.
قال ابن حجر: هو كناية عن الملك، شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم، ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم، وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به صلى الله عليه وسلم قبل وقوعه ولم يقع بعد (فتح الباري كتاب المناقب، باب ذكر قحطان: حديث رقم:3256).

(10) صحيح مسلم، كتاب الفضائل، باب رحمة النبي- صلى الله عليه وسلم – للنساء. - الرقم: 4288.

(11) الحديث في الصحيحين: ففي صحيح البخاري: بإسناده عن أنس بن مالك:أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان في سفر، وكان غلام يحدو بهن يقال له أنجشة، فقال النبي - صلى الله عليه وسلم-: (رويدك يا أنجشة سوقك بالقوارير). قال أبو قلابة: يعني النساء. وفي رواية: (رويدك يا أنجشة، لا تكسر القوارير). قال قتادة: يعني ضعفة النساء. الجامع الصحيح، كتاب الأدب- ما يجوز من الشعر والرجز والحداء وما يكره منه الرقم: 6210: صحيح مسلم، كتاب الفضائل،، باب رحمة النبي- صلى الله عليه وسلم – للنساء. - الرقم: 4287.

(12) هو جزء من حديث طويل رواه أبو هالة في وصف النبي عليه السلام- وجاء فيه (... جل نظره ملاحظة، يسوق أصحابه، يبدأ من لقي بالسلام،...) أخرجه ابن حبان في الثقات 145/2: والبيهقي في دلائل النبوة: 286/1 وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد، وبين أن فيه مجهولا، وضعفه الألباني في ضعيف الجامع - رقم: 4470.

(13) الحديث في صحيح البخاري ونصه: (تعس عبد الدينار، وعبد الدرهم وعبد الخميصة، إن أعطي رضي وإن لم يعط سخط، تعس وانتكس، وإذا شيك فلا انتقش، طوبى

لعبد آخذ بعنان فرسه في سبيل الله، أشعث رأسه، مغبرة قدماه، إن كان في الحراسة كان في الحراسة، وإن كان في الساقة كان في الساقة، إن استأذن لم يؤذن له، وإن شفع لم يشفع) صحيح البخاري، الجهاد والسير، باب الحراسة في سبيل الله، الرقم: 2887.

(14) لسان العرب: مادة سوق.

(15) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، تأليف ط4.

(16) في حاشيته على جمع الجوامع، ج320/1.

(17) (يرجع في هذه التعاريف الى: نظرية السياق: دراسة أصولية: نجم الدين زنكي،ط أولى،2006، ص 63.
"أهمية اعتبار السياق في المجالات التشريعية وصلته بسلامة العمل بالأحكام" – أعمال ندوة الرابطة المحمدية للعلماء.
" السياق القرآني وأثره في تفسير المدرسة العقلية الحديثة " لسعيد بن محمد). عن موقع: med.laaroussi.ifrance. com/index

(18) صحيح البخاري، كتاب الزكاة، ذكر الخوارج وصفاتهم، رقم 1761 -، صحيح مسلم – في الزكاة، ذكر الخوارج، الرقم: 822 (ورواية مسلم في سياق آخر، لكن بوجود الشاهد).

(19) عبد الفتاح، نظرية السياق القرآني، ط1. ص 281.

(20) الشافعي، الرسالة، ج62/1.

(21) المرجع السابق، ج 1:58.

(22) ابن دقيق العيد، إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، ط1، ج1، 215.

(23) بدائع الفوائد، ج 4/ 9-10، ط أولى.

(24) ابن القيم، الروح، ص:84، وانظر إعلام الموقعين ج87/1.

(25) الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، ج4/ 117.

(26) حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، ص 213.

(27) من حديث فاطمة بنت قيس: صحيح مسلم كتاب الطلاق، المطلقة ثلاثا، رقم: 2709.

(28) وجدي، علم الدلالة، 29-50.
بواسطة: سالم خماش، موقع "إسلام ويب": مقال: السياق القرآني.
وانظر في تفصيل هذه الطّرق وغيرها: "مدخل إلى علم الدلالة الألسني" موريس أبو ناضر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع:18-19، آذار 1982م.
بودرع، منهج السياق في فهم النّص، كتاب الأمة، ع:111.

(29) صحيح البخاري، كتاب الرقاق، باب رفع الأمانة رقم: ومسلم في فضائل الصحابة، رقم:4620
قال ابن قتيبة: ومعنى الحديث أن الناس متساوون ليس لأحد منهم فضل في النسب , بل هم أشباه كالإبل المائة. وقال الأزهري: والمعنى الذي ذكره ابن قتيبة غلط، بل معنى الحديث أن الزاهد في الدنيا الكامل في الزهد فيها والرغبة في الآخرة قليل جدا كقلة الراحلة في الإبل، قال النووي: هذا كلام الأزهري، وهو أجود من كلام ابن قتيبة، وأجود منهما قول آخرين أن معناه المرضي الأحوال من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار قليل. شرح النووي على صحيح مسلم في تعليقه على الحديث رقم: 4620 كتاب فضائل الصحابة - وانظر:فتح الباري لابن حجر، ج132/13.
وذهب الطحوي إلى وجه آخر، فقال: يريد به خاصا من الناس، وهم الذين لا غناء معهم ولا منفعة عندهم لمن سواهم من الناس، كإبل مائة ليس فيها راحلة تحمل ما يحتاج الناس إلى حمله عنهم،... شرح مشكل الآثار: ج495/3.

(30) رضا، أسرار البلاغة، ص: 213.

(31) حديث صحيح روي بألفاظ متقاربة، منها ما في صحيح البخاري: كتاب التفسير، باب تفسير قوله تعالى (وكلوا واشربوا حتى...) قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود، أهما خيطان؟ قال: (إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين). ثم قال: (لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار). 4150 وفي رواية أخرى في الصحيح": أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود، حتى كان بعض الليل نظر، فلم يستبينا، فلما أصبح قال: يا رسول الله، جعلت تحت وسادي، قال: (إن وسادك إذا لعريض: أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادتك) كتاب الصوم، باب قوله تعالى (ولكوا واشربوا حتى يتبين..) رقم 1783.
وفي صحيح مسلم- لما نزلت: { حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر} [2 / البقرة / الآية 187]. قال له عدي بن حاتم: يا رسول الله ! إني أجعل تحت وسادتي عقالين: عقالا أبيض وعقالا أسود. أعرف الليل من النهار. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " إن وسادتك لعريض. إنما هو سواد الليل وبياض النهار". رقم: 1090.
وفي رواية أخرى عند أبي داود- لما نزلت هذه الآية (حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود) قال أخذت عقالا أبيض وعقالا أسود فوضعتهما تحت وسادتي فنظرت فلم أتبين فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال إن وسادك لعريض طويل إنما هو الليل والنهار وقال عثمان إنما هو سواد الليل وبياض النهار- (سنن أبي داود-رقم: 2349).

(32) أسرار البلاغة، 278.

(33) ابن حجر، فتح الباري، ج629/4.

(34) البزار كما في كشف الأستار 86/1 والعقيلي في الضعفاء 10/1، وابن عبد البر في التمهيد (1/59)، وهو حديث غير ثابت، جميع طرقه لا تخلو من مقال.

(35) أسرار البلاغة، 339-341.

(36) الحديث في الصحيحين ولفظه: عن عائشة: (أن بعض أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن للنبي صلى الله عليه وسلم: أينا أسرع بك لحوقا؟ قال: أطولكن يدا. فأخذوا قصبة يذرعونها، فكانت سودة أطولهن يدا، فعلمنا بعد: أنما كانت طول يدها الصدقة، وكانت أسرعنا لحوقا به، وكانت تحب الصدقة. الجامع الصحيح – في الزكاة،فضل صدقة الشحيح، رقم 1331 - صحيح مسلم: رقم: 2452.
(37) أسرار البلاغة، 308.
(38) سنن أبي داود، الجهاد، في السرية ترد على أهل العسكر: رقم: 2371، وابن ماجة، في الديات، المسلمون تتكافأ دمؤهم، رقم 2673، والحاكم في المستدرك: رقم 2623، وقال: صحيح على شرط الشيخين، والحديث صحيح له شواهد.
(39) المرجع السابق، 308.
(40) صحيح البخاري: كتاب التوحيد، باب قول الله تعرج الملائكة والروح إليه، حديث رقم 6993، وصحيح مسلم، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها، رقم 1014.
(41) أسرار البلاغة، 315.
(42) القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، عن الموسوعة الشاملة، ج98/1.
(43) أبو بكر الخلال، كتاب السنة، والدارقطني في كتاب الصفات، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة... نقلا عن مكحول والزهري والثوري والليث والأوزاعي وغيرهم(نقلها موقع إسلام وب- قسم الفتاوي).
(44) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء. باب فضل الذكر والدعاء.. برقم 4852 من حديث أبي ذر الغفاري.
(45) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ويحذركم الله نفسه، وصحيح مسلم برقم 2657 من حديث أبي هريرة.
(46) صحيح البخاري، كتاب التوحيد، باب ذكر النبي – صلى الله عليه وسلم– وروايته عن ربه.
(47) الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، ط2، ج337/3.
(48) ابن قتيبة، تأ ويل مختلف الحديث: ص:327.
(49) صحيح ابن حبان، بترتيب ابن بلبان، ط2، ج3/ص94.
(50) العراقي، طرح التثريب في شرح التقريب، ج8/ص222.
(51) صحيح البخاري، كتاب الفتن، باب قول النبي- صلى الله عليه وسلم: (سترون بعدي أمورا تنكرونها) رقم:6531 وصحيح مسلم، كتاب الإمارة، رقم: 3438.
(52) أبو داود في سننه، كتاب السنة، باب في قتل الخوارج، رقم: 4131 والترمذي، كتاب الأمثال عن رسول الله، رقم: 2790، وقال حسن صحيح، وأخرجه ابن خزيمة في صحيحه.
(53) صحيح البخاري: كتاب الفتن، باب تكون فتنة...رقم: 6554 صحيح مسلم،الفتن وأشراط الساعة رقم:/5136.
(54) صحيح مسلم برقم 5137.
(55) فتح الباري، كتاب الفتن، باب تكون فتنة.
(56) كتاب العبودية، 1/ 39 (عن الموسوعة الشاملة). وابن تيمية، الفتاوى الكبرى: ط الأولى، ج205/5.
(57) سيأتي بعد قليل ذكر بعضهم.
(58) صحيح البخاري، أبواب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل - حديث رقم: 1094.
صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل حديث رقم: 758.
(59) في شرح العقيدة السفارينية تحت شرح: وكل ما يطّلب فيه الجزم، فَمنْع تقليد بذاك حتم انظر موقع ابن عثيمين: www.ibnothaimeen.com/all/books/article_18167.shtml وانظر: موقع ملتقى أهل الحديث
(60) موقع ملتقى أهل الحديث، www.ahlalhdeeth.com/vb/archive/index.
(61) موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، www.imambinbaz.org/mat
(62) صحيح مسلم، كتاب صلاة الاستسقاء، باب الدعاء في الاستسقاء حديث رقم: 898.
(63) مسند أحمد، حديث رقم: 26769 عن خولة بنت حكيم، وسنده فيه انقطاع بين عمر بن عبد العزيز وخولة بنت حكيم ورواه احمد والبيهقي في الأسماء والصفات من حديث يعلى بن مرة، برقم 965 ج389/2 قال الهيثمي:، ورجالهما ثقات، (مجمع الزوائد488/9) فالحديث صحيح لغيره.
(64) قال البيهقي: الوطأة المذكورة في هذا الحديث عبارة عن نزول بأسه به. وأسند البيهقي في الأسماء والصفات0 ج389/2) برقم: 976 عن عثمان بن سعيد الدارمي، قال: سمعت علي بن المديني، يقول في حديث خولة، رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وسلم: "إن آخر وطأة بوج": قال: سفيان: إنما هو آخر خيل الله بوج.قال الدارمي: والوج: مدينة الطائف، ونقل ابن قتيبة والبيهقي عن أهل العلم أن هذا مثل حديث (اللهم اشدد وطأتك على مضر).
انظر: ابن قتيبة، تأويل مختلف الحديث:: ج213/1.
(65) موقع جامع شيخ الاسلام ابن تيمية. www.taimiah.org، مقال المختار في أصول السنة/ للشيخ عبد العزيز الراجحي
(66) ص:314.

المصادر والمراجع

الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية، دار الراية، الرياض، ط2، تحقيق عثمان عبدالله آدم، 1418.

ابن دقيق العيد إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، (المتوفى: 702هـ) تحقيق: مصطفى شيخ مصطفى ومدثر سندس، 1426 هـ - 2005 م، مؤسسة الرسالة، ط1.

الجرجاني، أسرار البلاغة.

البيهقي، عبد الله بن محمد الحاشدي، الأسماء والصفات، مكتبة السوادي، جدة، الطبعة الأولى.

ابن القيم، إعلام الموقعين.

ابن القيم، بدائع الفوائد، دار الفكر، دمشق، ط أولى.

تأويل مختلف الحديث، ابن قتيبة، المكتب الإسلامي، دار الإشراق، 1419هـ / 1999م.

التمهيد، ابن عبد البر، الطبعة المغربية ط1.

ابن حبان البستي، الثقات، دار الفكر، ط 1تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، 1395– 1975.

البخاري، محمد بن إسماعيل، الجامع الصحيح، دار ابن كثير، بيروت، الطبعة الثالثة، تحقيق مصطفى ديب البغا، 1407.

جامع الترمذي، تحقيق أحمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

العثيمين، الجواب المختار لهداية المحتار.

حاشية العطار على جمع الجوامع: ج320/1، (عن الموسوعة الشاملة).

البيهقي، دلائل النبوة، (عن الموسوعة الشاملة).

الروح، ابن القيم، الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت، 1975.

سنن أبي داود السجستاني، تحقيق الدعاس، ط1.

مستدرك الحاكم، ط دار المعرفة (مصورة).

الصحيح المسند، مسلم بن الحجاج، طبعة محمد فؤاد عبد الباقي.

صحيح ابن حبان، تحقيق الأرناؤط، ط1.

العقيلي، الضعفاء الكبير، تحقيق قلعجي، ط1.

العبودية، ابن تيمية، أبو العباس، (عن الموسوعة الشاملة).

ابن تيمية، الفتاوى الكبرى، دار المعرفة، بيروت، ط 1، تحقيق: حسنين محمد مخلوف.

فتح الباري، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، دار المعرفة، بيروت، 1379.

كشف الأستار، 86/1.

لسان العرب، ابن منظور، دار صادر بيروت، ط1.

نور الدين علي بن أبي بكر، مجمع الزوائد، دار الفكر، بيروت، 1412 هـ.

مسند أحمد، مؤسسة قرطبة، القاهرة، ط1.

إبراهيم مصطفى، المعجم الوسيط، وآخرون، مجمع اللغة العربية، ط ثالثة.

الشاطبي، الموافقات في أصول الفقه، دار المعرفة، بيروت، تحقيق: عبد الله دراز.

موقع "إسلام ويب": مقال: السياق القرآني، سالم خماش.

مدخل إلى علم الدلالة الألسني" موريس أبو ناضر، مجلة الفكر العربي المعاصر، مركز الإنماء القومي، ع:18-19، آذار 1982م.

عبد الرحمن بودرع، منهج السياق في فهم النّص، كتاب الأمة، ع:111، المحرم1427هـ.

مجلة الواضحة، العدد4-2008، دار الحديث الحسنية – الرباط د. أحمد الخمليشي.

عبد الفتاح، المثنى، نظرية السياق القرآني، دار وائل للنشر، عمان، ط1.

مواقـع انتـرنـت

موقع الدرر السنية dorar.net/enc/hadith

ملتقى أهل الحديث www.ahlalhdeeth.com

موقع ابن عثيمين:

www.ibnothaimeen.com/all/books/article_18167.shtml -

موقع الشيخ عبد العزيز بن باز، /www.imambinbaz.org

موقع الفلاح

موقع شبكة الأثري،.www.alathary.net/vb2/showpost

موقع الرابطة المحمدية للعلماء/ المغرب

www.arrabita.ma/ contenu.asp

med.laaroussi.ifrance.com/index

موقع جامع شيخ الاسلام ابن تيمية. www.taimiah.org

The Linguistic Context and its Influence over the Prophetic Narration (Hadeeth) Comprehension

*Yasir A. Shamali**

ABSTRACT

The study tackled the importance of placing a considerable care for the linguistic context, so that we can have an accurate and sound understanding to the prophetic narration. The study shows that the context is a general conception which could mean many things such as knowing what comes after and before the text and the linguistic style of the text on the words structuring and organizing level where the position of words and the manner of expression is considered. The prophetic scriptures came through one of the most articulated men in the Arabian Peninsula, and here the significance of the linguistic competence and the linguistic appreciation in texts comprehension takes place. It is worth mentioning that the scholar demonstrates the efforts of the Imam Gargani in pointing out and shedding light over this part of the study; moreover, the scholar mentioned an applicable example of a prophetic narration (Hadeeth) that whoever wants to demonstrate what has come in, he will need the knowledge of the linguistic context of that (Hadeeth) by comparing it with equivalent narrations in the prophetic traditions, but without losing the sight of taking care of misunderstanding the texts due to ignoring the linguistic context.

Keywords: The Linguistic Context, Al-Hadith.

* Faculty of Shari'a, University of Jordan. Received on 22/6/2009 and Accepted for Publication on 11/2/2010.